

الباب الثالث

هو وهي

obeikandi.com

إصرار

طلبت من زوجها أن يتزوَّج بامرأة ثانية، فلا يرضيها أن يكمل حياته معها، والحسرة تنهش بمخالبتها قلبه وفرحه، فأبى واستنكر...

رفعت لواء الإلحاح في وجهه، وإن لم يفعل ستكسر بعصاه زجاج صندوق الأحلام المخبأة داخله أوراق ما خطَّاه لحياتها العائليَّة.

خضع لرغبتها، وتزوَّج بمن اختارتها لتكون أمًّا لأولاده.

أخفت مشاعرها وامتصَّت ما وسوس به شيطان الغيرة إلى أن حبا الطَّفل، فحبت المرارة نحو قلبها... ومع أولى خطواته خطت نحو المحكمة مصرّة على الطَّلاق.

حرج

سألها مـمازحـا: لم تحييني رغم أنّي لا أملك ما تملكين من...؟

قاطعتـه قائلة: حبّك لي هو أغلى ما يكون...

تزوّجا وعاشا سعيدين منسجمين .

دعاهما أحد الأطباء للسّهر في أحد الأماكن الهادئة، وأثناء تناول الطّعام اتّسع الحديث حول "الحمية الغذائيّة"، فكان للمصطلحات ضجيج كاصطدام الملاعق بالصّحون، ولم يستطع أن يأتي بلقمة ممّا مضغها فكر الأطباء حين حاولوا إشراكه.

غاضه الأمر فطلب من زوجه عدم الانغماس في الموضوع. تغيّرت سحتتها وقالت:

ليس ذنبي أنّك لا تفهم ما نقول.. لا تخرجني أمام زملائي الأطباء.
أنا هنا أحقّق ذاتي ورغباتي، لن يمنعني انزعاجك من ذلك،
وبإمكانك فعل ما تشاء..

وعد

وعدته أن تخلص له إلى أن يفرّق الموت بينهما، فشعر أنّ الكون وما فيه ملك يديه.

اضطرّ عمله إلى مغادرة بلدته لعدّة شهور.. ولم تبعده المسافات عنها لكثرة ما هاتفها للاطمئنان عليها.

عندما عاد من سفره استقبلته بحفاوة ثمّ سألته:

هل تلبّي لي ما أطلب بعد هذا الغياب؟ فأجاب:

مؤكّد يا عزيزتي.. بإمكانك أن تثقي بالاستجابة.

أريد الطّلاق؛ لأنّ خطيبي الأوّل قد طلق زوجته، ويريد الزّواج منّي!

إغراء

نسقت الزهور في الآنية بعد أن قطفتها بيدها الحانية لتزيّن بها مائدة
عشقهما، وتثير في نفسيهما حب الحياة، بعد أن خبا فتيلها إثر نكسة
جعلتها خاوية.

أظهرت له الودّ وتبرّجت بلطيف الكلام، وكانت جواهرها رقّة
الإحساس وشفيف الخيال.. لم يلق لها بالا ونهض حاملا دثار
الإهمال سائلا إيّاها:

متى ستدعينني أنام دون بهرج القول وزخرف المكان؟

وفيما هو داخل غرفة نومهما، أصغى لصوت ناعم يصدر عن
التلفاز، فوقف منصتا ومبعدا غبش النعاس هامسا في أعماقه:

يا لها من امرأة فاتنة الجمال، رهيفة المشاعر تسرّ البال؟!

رَقَّة

كان قيس بن الملوّح في حديثه، فأذهلتها الرّقّة التي فاح شذاها
غامرة أجواء حياتها، وطارت فرحا تنفّض جسدها ممّا علق به من
عجاج صحارى الأيام..

وعند أوّل خلاف وجدته الحجاج!

انتقام

سمعت زوجها وهو يحدث جارهما عن سماعه موعظة للدكتور
عائض القرني يقول فيها :
"إذا غضبت زوجتك فلا تغضب، بل قل لها أنت صديقة وأنا
مذنب، وأرجو أن تعتقي رقبتي هذا اليوم لوجه الله... أو اخرج
من البيت حتى تهدأ"، وأخبره أنه سيتبع نصيحته .
فاضت أسارير وجهها بشرا، حيث حان الوقت لتتقم منه بعد
الإهانات التي أدمت كراييجها سرايين قلبها وروحها، عقب كل
غضبة واحتجاج .
أرهقه تطاولها الزائد؛ مطمئنة لتأثره بموعظة الشيخ إلى أن أفلت
منه حبل السيطرة فصاح بها :
أعتقتك إلى الأبد ... أنت طالق.

شوق

مرّ بجانب حانوت، فلفتت نظره الحُمْرَةُ التي تلفّ مجسّات
القلوب بأحجامها المتنوّعة، وعبقُ رائحة الأزهار الجميلة،
والعشاق المتزاحمون على الباب...

حنّ لأيّام عشقه فأرسل رسالة (S.M.S) عبر هاتفه كتب فيها:
أحبّك. واشتقت إليك كثيرا يا عزيزتي...

دهشت الزوجة حين قرأت الرّسالة، وكتبت تردّ بغضب:
أيّها السّارق، أعد الهاتف النّقال لزوجي.!

دعوة

دعاها لاعتلاء قارب حياته بعدما أيقن أنها الرّبان الذي سيوجّه
دفة السّعادة الباحث عنها طويلاً... أغدق عليها من ندى مشاعره
مرطباً جفاف عواطفها المتشقّقة عطشا لحبّ كريم.. تردّدت حين
أحسّت أنّ شيطان الإغواء يوجّهها صوب المحرّم ولا يعقل أن
تكسر قفل مأساتها يد من نصيب غيرها.

ظلّ يراودها مستغلاً ما عرفه عنها من شحّ ينابيع حياتها حتّى
أضعفها وأوقعها في بحر هواه، فراحت تحلّق بمناطيد الجمال التي
وضعها بها.

أخبرت صديقتها عن حياتها الجديدة برفقة عاشق مميّز، فسعدت
صديقتها بالخبر، وأفشت لها سرّها عن علاقتها بصديق ينسيتها
همومها ويساندها، ودعتها للتّعرف عليه.

لبّت الدّعوة مسرورة.. دخلت المكان فوقع نظرها على صاحبها
وهي ممسكة بيد الرّجل.. تراجعت إلى الخلف ماسحة دمعات
حرّى وأسندت ظهرها على أحد الجدران القريبة قائلة:

لا يمكن للخيانة أن تكون بديل الأمانة!

رسائل

فاجأتها صديقتها وهي تهمّ بمحو الرّسائل الإلكترونيّة التي جمعتها في ملفّ اعتزّت به سابقا، واستأذنتها بالقراءة قبل المحو.

ذهلت ولم تكمل قراءتها وقالت لها:

أيعقل هذا؟.. لقد كتبت هذه الرّسائل الغراميّة لي.. فكيف وصلت إليك!

مسامحة

عاشا معا فترة طويلة، ولم يفلح أحدهما باختراق عالم الآخر وعرض ما يفكر به على مائدة النقاش، إلى أن هاجت مشاعر الزوجة في إحدى الأماسي عقب تصرف لم يعجبها، فصرخت في وجه الزوج: كان يوم نحس ذاك الذي التقيت فيه.. لم أعد أطيق رضوخي لسوداوية حياتك، واستهتارك بالأمر.

أجاب ببرود أعصاب:

سامحك الله على كل ما تتقولين عليّ!

فتنة

سحره جمالها، وخلق لبّه قوامها، فذهب وانتشلها من براثن
بيئة أوشكت على إفساد أخلاقها، ولم يلق بالآل من عاب أصلها
ومزايها.

توسّدت وثير الآمال، وافترشت سرير تحقيق الأحلام، وتسوّرت
بأساور العزّ والدلال..

اضطرّره عمله إلى مفارقتها شهرا من الزّمان، فعاد ليجدها في مرتع
أعزّ الخلان.

فراق

طوّق خصرها بيده، والبسمة لا تفارق شفّتيه. سألته: لم طلّقت زوجتك؟ فأجاب:

لأنّ يدي لم يعد بإمكانها تطويق خصرها.

وجمت، وتذكّرت كم عانت خلال الأشهر الأخيرة كي تنحف لتشتري فستاناً أعجبها.

نظرت إليه ثمّ أبعدت يده عنها، وولّت راکضة.

حب

تزوَّج من أرملة أحبَّها في فترة تعليمه، ولم يحظ بها لظروفه الاقتصادية الصَّعبة.

خلال حديثهما كانت تكثر من المقارنة بينه وبين زوجها السَّابق، حتَّى ضاق ذرعا وطفح كيل تحمَّله، وشعر أنَّه لا يستحقَّها.

أراد مفاجئها لينسيها أمر هذه المقارنات، فدعاها لمرافقته في جولة لأحد المتنزَّهات.

طلب منها أن تضع عصا على عينيها، ودخلا وهو يمسك بيدها ثمَّ أجلسها فوق قطعة من الرِّخام أجفلتها برودتها، فنزعت العصا وصاحت مذهولة:

ماذا فعلت بي؟ أهذا هو المكان الجميل؟!

أجابها:

هنيئًا لك بزواجك السَّابق وبأفضليَّته!

تفاهم

تَهاوَيْتُ على الأريكة لشدة إرهابي، وتدمري يكسر أذرع الصّمت
الحاضنة بيّتي، وترعج زوجي التي اقتربت منّي وسألّتي برقة
ممزوجة بالقلق:

ما الذي يغيظك يا غالي، وينسبك إلقاء التّحيّة واحتضاني؟

أجبتها وزفرة الأسى تضايقني:

لقد دخلت البيت منذ ساعتين، ولم أشأ إزعاجك، وقلبت
المكتب رأساً على عقب باحثاً عن أحد ملفّات حسابات المصنع،
فلم أجده... صرخت فزعة: منذ ساعتين وأنت تبحث...؟! ثمّ
هرولت نحو غرفة المكتبة.

راقصت الفرحة أعماقي بعد أن أخذ التعب منّي كلّ مأخذ لاهتمامها
بأمري، ولما تعتد الحياة معي بعد...

أطالت المكوث هناك، فتبعته خجلاً لتسببي بانشغالها بقضايا
عملي، وفجأة أحسست أنّ كلابة الدّهول تكاد تطبق على أنفاسي
حين صاحت بي:

لا زلت أنظّف وأبحث عن ذرّات الغبار التي تسبّبت في دخولها
للغرفة بعد فتح النّافذة!

قسم

أقسم لها ليلة زفافهما أن يسعدّها.. فوعده أن تقطف زهرة تحتفظ
بها كلما أظهر لها حبّه، وتقتلع شوكة من أوراق شجيرة الصّبار إذا
ما أغضبها.

مرّت السّنون، فصادف أحد الأبناء صينيّة من القشّ في المخزن،
استغرب ما تحويه، وأحضرها مستوضحا الأمر.

تضاحكت الأمّ وطلبت منه أن يعدّ الزّهرات.. بحث في كومة
الأشواك، فلم يجد سوى ثلاث زهرات جافّات.

توبة

قرأ في جريدته الصّباحيّة خبراً أربكه، فترك فنجان قهوته وخرج.
في المساء، قرّر أن يفاجئ زوجته بقرار التّوبة عن التّقلّب في أسرة
الخيانة، وتقديم هديّة قيّمة لها.
دخل البيت فلم يرَ أحداً.. أكمل طريقه إلى غرفة النّوم، فصعقته
الدّهشة!

دعوة

قال لها: ما بك يا عزيزتي تبنين من طين الحزن أكوأخا يقبع فيها
المازّون، بعد أن يصابوا بالصّدمة؟

أجابت: لأنّ الحياة أسكنتني في كهف القهر، حتّى بدالي قصرًا.

خفّف من حدّة لهجته وهمس لها : تعالي لبنني من حجارة قصر
قهرك، وحديد قلعة صبري، حصنا تزيّنه جداريّات حروف الأمل،
ويحيط به سور الحكمة، وفي الرّبيع تأوي إلى روضته عصافير عشق
الجمال، ونحل الفكر والإبداع.

بعدما تمّ البناء ، دخله الجميع إلّا هي !

هشيم

عشّش عشقها في جوارحه، وأحاطها بسور من الحرص والعناية...
فحظي منها بمشاعر جميلة، ونشر الودّ حريه أمامها، لكنّ حبّ
التّمكّك جعله يراقب كلّ خطوة من خطواتها، ويفتعل لها الزّلل.
أشعلت فتيل التّدمر في وجهه، فزاد من لفّها بأحزمة نيران غضبه
وغيرته.

بعد فترة قصيرة، أضحت سنابل حبّ بيدرها هشيما.

غرور

بين جرأة الإقدام ورهبة الإحجام، حام مدّة حول خليّة من سَمّاها
نحلة عشقه؛ متمنّيًا أن يحظى بقرص الشّهد.

ذات ربيع، قدّمت له العسل بقارورة من فضّة تقديرًا لظّله.
انتشى مزهوًّا وقال:

أنا النّحال الماهر.. وغير رحيق خمرة حبّي ما استساغت لتُعاقر.

قصيدة

سحره جمال عينيها، فكتب قصيدة حملها من جميل البديع وسحر
البيان ما أسكر مشاعره إعجابا بها كتب..

دعاها للقاء ليقرأها على مسامعها، فسبحت عيونها حين التلاقي
في بحر الأشواق واللهفة، وكأتهما مغرمان منذ مدّة..

في إحدى أمسياته الصّاخبة، رمته إحداهنّ بطرف عينيها فأوقعته
طريح الافتتان بها.

عاد إليها بعد وقت قليل ليخبرها أنّ جمالها أوحى له بقصيدة وراح
يقرأها على مسامعها، فتضاحكت بعد انتهائه وقالت:

قصيدة رائعة، لكنّ عينيّ ليستا زرقاوين لتسبح في زرقه مائهما يا
شاعري العزيز!

إعجاب

أعجب بها أيما إعجاب، ثم أحبّها وبثّها مشاعر غرامه مقسماً أنّها ليلاه التي انتظر..

هاتفته مرّة فكان خط الهاتف مشغولاً.. اتصلت بسكرتيرته لتخبره أن يتّصل بها، فشعرت أنّ الحظّ لا يحالفها.

في اليوم التّالي، تكرّر الأمر فوخزت مسامير الشّكّ قلب المعشوقة، وقرّرت الدّهاب إليه . لمّا وصلت المكتب، طلب منها الموظّف الانتظار؛ لأنّ المدير خرج لأمر طارئ برفقة إحداهنّ، وسيعود حالاً..

انتظرت لحين عودته، فبهتت عندما رآته برفقة السّكرتيرة وخرجت مصعوقة تلسعها عقارب الخيانة.. ركض خلفها لشرح الأمر لكن عبثاً..

في المساء، استلم صندوقاً شكّك عليه ورقة كُتِب فيها:

خذ عني زخارف خدعتك!

تصديق

قالت له أمّه: لم لا تتزوَّج يا بنيّ عسى الله أن يفرج كربتك، وترزق بطفل يحمل اسمك؟

صمت لحظات ثمّ قال:

كيف سأنجب، وقد قرّر الأطباء عقمي؟

وفيما الزّوجة العاقر تدخل سمعت جملة زوجها، فانفرجت أسارير وجهها بعد انقباض دام فترة طويلة.

عرض عليها زوجها بعد مدّة أن يتابعا العلاج، ويجرّبا الطرق العلاجيّة الجديدة، فحدجته بنظرة مبدية استغرابها ثمّ قالت:

ولم أذهب أنا للعلاج؟ ألم تخبر أمك أنّك العقيم؟!

قدر

قالت له في صباح أوّل يوم جمعهما معا:

قيمتي منحني إيّاها قَدْرُكَ، وقَدْرِي كبير لأنّكَ قَدْرِي.

ابتسم وقال: وقوّتي تكمن في كونك قَدْرِي.

التقيا بعد سنة.. حدّق أحدهما في وجه الآخر، ثمّ أكملتا سيرهما
باتّجاهين متعاكسين!

جرح

عمل في مركز للإسعاف مضمّدا الجراح، مهدّئا النّفوس الهلعة،
ومداويا الأجساد الواهنة..
تعرّض لجرح من سكّين حبيبة قلبه، فلم يفلح في تضميده، وظلّ
ينزف وعيدا وتهديدا...

رآها صدفة أثناء سفره في القطار فحدّق فيها للحظات، ثمّ
أغمض عينيه بهدوء مسترجعا ذكرى ما كان!

جناحان

حلّق بجناحي الشّوق صوب من هيّجت قلبه، وسكنت خلايا
روحه..

حمّل جناحا بمعسول الكلام وطيب الأحلام والآمال، وأثقله
بزمرد المشاعر، وشدّة الهيام.

وعلق على الآخر ما سيعرضه من قليل المال ليحظى بصاحبة
الحسن والجمال.

بعد سفر مرهق، عاد من ديار الأحباب مكسور الجناح.

كبرياء

جمعتَه الصّدفَة بمن أعجبته وأدهشته، فتقرّب منها وأحبّ الارتباط بها، وبدأ ببذر قمح مغرياته أمامها؛ مختبراً خلقها مرّة، ومبهوراً بها أخرى، لكنّها لم ترخ العنان لعواطفها بل أمسكتها بلجام من حديد، رغم أنّها عضّت على نواجذ رغبتها في التمسّك به..
ذات لقاء أعياه عدم انصياعها له فخاطبها مماًزحاً: كبرياؤك يجعلك صخرة! فردّت:

* أليس في الكبرياء كبُّ الرّياء، والكبر عن كلّ ما يخدش الحياء؟! *

هذيان

غمر مدّ الشّوق شواطئ الحنين إليه، فهرعت لقارب الهروب لتبحر
إلى خلجان النّسيان..

تلاطمت أمواج الذّكريات تؤرجح مركبها ذات اليمين وذات
الشّمال.. مال الشّراع فغرقت وهي تهذي بحروف اسمه!

طعام

أطعم فم الرّذيلة تفاحة الفضيلة كلّما جاءه شيطانها جائعاً؛ كي لا
تجرّه رجلاه إلى كرم عنب الهاوية.

ذات ليلة، صرخت الفضيلة وولولت، ذهل ولم يدرك كيف يسكتها!
استفاق صباحاً ومرارة حنظل المعصية تكاد تخنقه.

تسوّل

أجبره الجوع العاطفيّ، وفشل حياته الزوجيّة أن يبحث عن فتات
لسدّ الرّمق في موائد قلوب نساء أخريات. أفلح في الإيجاد، وركن
في زوايا المتعة يمزغ اللّقيّات الحلوة المدغدغة لمشاعره ببطء
واستمتاع.

بعد حين، أيقن أنّ ما فعله تسوّل مهين أفقده الخلق القويم.

رصاصه شوق

اخترقت رصاصه الشوق درع الحماية، فمزقت سرايين الصبر،
وأسالت دم الفؤاد مهتاجا باحثا عما يعيد لحرته الدأكنة البهجة...
تأججت المشاعر لحرته وصهلت طالبة إرواء الظمأ...
عرج كثيرا، لكنه عاد مثقلا سرايينه بدهون اللوعة؛ تاركا المشاعر
تعوي...